مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 3 (رت 72) السنة: 2023

دور الحركة الإنسانية في تطور الفكر السياسي والتاريخي في عصر النهضة

The role of the humanism movement in the development of political and historical thought in the Renaissance

عليوش رقية [1]
جامعة قسنطينة 3
rokia.alliouche@univ-constantine3.dz

تاريخ الوصول 2022/12/24 القبول 2023/02/18 النشر على الخط 2023/03/15
Received 24/12/2022 Accepted 18/02/2023 Published online 15/03/2023

ملخص:

تتناول هذه الدراسة أحد الجوانب الهامة في تاريخ الفكر السياسي و الكتابة التاريخية في عصر النهضة الأوروبية، حيث عرفت الحياة الفكرية تغيرا جذريا بفضل ظهور الحركة الإنسانية التي مجدت الفرد واعتبرته محور العالم، فدافعت عن حريته وقدراته على الأبداع، وقد كان اهتمام الإنسانيين بالموروث الكلاسيكي الروماني والإغريقي من أهم عوامل ازدهار هده الحركة حيث عملوا على دراسته ومحاكاته في الشكل واللغة والمضمون، وكان من آثار ذلك أن أدركوا أهمية حرية الفكر في تقدم الحضارات وتطورها فطبعت أعمالهم بنزعة تحررية من تعاليم الكنيسة وقيود اللاهوت وأصبحت أكثر واقعية.

ومن أهم رواد هذه الحركة المفكر السياسي والفيلسوف المؤرخ نيقولا ميكيافيلي الذي يعتبر مؤسس الفكر السياسي الحديث بفضل أعماله: الأمير، المطارحات وتاريخ فلورنسا. حيث ابتدع منهجا جديدا بأن ربط بين التصرف السياسي الصحيح والتجربة التاريخية واستخلاص العبر. كما تميز بجرأة الطرح فيما يخص أفكاره السياسية التي جعلته محل انتقاد كبير وصلت حد اتهامه بالهرطقة، ولكن مع مرور الوقت أصبحت هذه الأعمال مصدر إلهام لكثير من المفكرين ورجال السياسة في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: الحركة الإنسانية، الفكر السياسي، التراث الكلاسيكي، التاريخ، ميكيافيلي.

Abstract:

This study deals with the history of and historical writing in the era of the European Renaissance, where the intellectual life witnessed a radical change thanks to the emergence of the humanism movement that glorified the individual, so it defended his freedom and his creativity capabilities, the interest of humanists was in the classic legacy of the Roman and The Greek is one of the most important factors for the prosperity of this movement, as they worked on studying it and simulating, they realized the importance of freedom of thought in the progress and development of civilizations, so their works were imprinted with a liberal tendency from the teachings of the Church and the restrictions of theology and became more realistic .One of the most important of this movement is Nicola Machiavelli the founder of modern political thought by his writings: The Prince, Arguments and the History of Florence.

Keywords: political thought, Nicola Machiavelli, humanism movement, history, classic legacy.

[1] المؤلف المراسل: **عليوش رقية** البريد الالكتروني: **rokia.alliouche@univ-constantine3.dz**

1. مقدمة:

هيمنت الكنيسة خلال فترى العصور الوسطى في أوروبا على كل ميادين البحث العلمي وفرضت آراءها بالقوة مستندة في ذلك إلى سلطانها الديني والدنيوي، فقد نصب رجال الدين أنفسهم لمعرفة الحقيقة في كل أمور الدين والدنيا، واعتبروا أن أي مصدر آخر غير ما تحت أيديهم من كتب مقدسة في نظرهم لا يعتد به، بل وعاقبوا كل من سولت له نفسه الخروج عليهم، لذلك وقفت الكنيسة بالمرصاد لكل فكر مخالف لها، وكل رأي معارض لآراء آبائها و رجالها الذين تمتعوا بسلطة التأويل، فتبنت أفكارهم وأغلقت الباب أمام أفكار غيرهم ولم تكتف بذلك بل اضطهدت وقمعت المخالفين وأقامت من أجل ذلك محاكم التفتيش لقهر معارضيها.

وهكذا تبين أن الكنيسة أحكمت سيطرتها وفرضت رقابتها على كل منافذ التقدم والمعرفة، ولذلك عاشت أوروربا خلال تلك العصور في ظلام دامس وجهل سائد، حيث عرف الفكر العقلي والبحث العلمي ركودا وعجزا كبيرا وذلك بفعل التعصب للدين والعقبات التي وضعتها الكنيسة في وجه العلم والعلماء.

تأثر الفكر السياسي في العصور الوسطى بشدة بالتفكير المسيحي من حيث تبعيته للاهوت، ويظهر ذلك جليا في كتاب مدينة الله لأوغسطين حيث دافع عن المسيحية ضد أعدائها و ذكر أن المدينة الوحيدة التي لها قيمة هي التي تبنى على قيم المسيحية، وطلب من الملوك اللجوء إلى سلطة البابا لأن الخلاص لن يتم إلا عن طريق الكنيسة والدخول في خدمة الإله، وأن الدولة التي أقامت الله وسط مؤسساتها ستجد القوة والاستقرار لأنها تعمل على التحضير للمدينة السماوية التي لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال سلطة الكنيسة المقدسة الغير قابلة للنقاش.

أما الكتابة التاريخية التي سادها الغموض فلم تسلم هي الأخرى من هذه السيطرة، حيث كان تدوين التاريخ محصورا على الكهنة كما سيطر علم اللاهوت على حرية البشر وطبع أعمال المؤرخين بتعاليمه، فأصبح التاريخ عبارة عن سجل يحفظ أفعال الله نحو الإنسان.

ومع بداية القرن 12 شهدت أوروبا ظهور بوادر العديد من التغيرات التي مست مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتي كان لها دور في تحريك الفرد الأوروبي نحو الخروج من سباته العميق طيلة قرون طويلة مضت فأخذ يختط لنفسه طريقا يعبر فيه عن أفكاره و يكافح فيه من أجل تغيير الواقع الذي كان سائدا بفعل هيمنة رجال الدين المسيحي، وخلال عصر النهضة الذي ارتفعت فيه شعارات الحرية والأفكار النقدية عرف الفكر السياسي و التاريخي تطورا كبيرا أخرجه من سيطرة الأسطورة والخرافة وجعلته يقوم على أسس علمية في طرح المواضيع وتفسيرها.

فما هي التطورات الحاصلة على الفكر السياسي و التاريخي في عصر النهضة؟ ما هي العوامل المؤدية إلى هذا التطور؟ كيف ساهمت الحركة الإنسانية في تحرير وتطوير الفكر السياسي والتاريخي، ومن هم أشهر روادها في هذا المجال؟

2. تعريف الحركة الإنسانية:

هي حركة ثقافية فكرية ظهرت في عصر النهضة في إيطاليا أوائل القرن 14م تحديدا في مدينة فلورنسا، ومنها انتقلت إلى باقي بلدان أوروبا الغربية وبلغت خلال القرن 16م ذروتها بامتياز [1].

[1] B.Greengrass Howarth, Atlas de la renaissance, éditions du Fanal, Espagne, 1993, p51.

الإنسانية أهم ما ميز عصر النهضة، وكلمة الإنسانية مشتقة من الكلمة اللاتينية homme والتي تعني الإنسان، واختلفت الآراء بين المؤرخين وعلماء الأنثربولوجيا حول تعريفها وانقسموا في ذلك إلى قسمين؛ أولهما وصفها بأنها الحركة التي جعلت الإنسان مركز الكون فهو بالنسبة لهم أجمل الكائنات وأرقاها بفضل قدرته على العطاء، الإبداع والبحث عن الكمال، في حين اتجه القسم الثاني إلى القول بأنها الحركة التي انطلقت من ترجمة معارف الحضارات السابقة كالحضارة الإغريقية، الرومانية والإسلامية فيما بعد[1]. قامت الحركة الإنسانية على أربع مبادئ رئيسية وهي :

-التفاؤل بالإنسان لاعتباره أفضل المخلوقات.

- الاهتمام بمختلف العلوم الآداب والفنون.

- تطوير أساليب التربية والتعليم.

- إحياء الموروث القديم خاصة اليوناني والروماني[2].

لعل أهم ما ميز الحركة الإنسانية هو العودة إلى أمجاد الإنسان في الماضي من خلال إحياء علوم الإغريق والرومان القديمة ثم محاولة محاكاتها والاستفادة منها الأمر الذي قادهم إلى البحث في الكنائس و الأديرة عن المخطوطات، التماثيل، القطع النقدية وكل ما من شأنه إعادتهم إلى الماضي، وقد أثمرت عمليات البحث بالعثور على العديد من النصوص والمخطوطات القديم التي اعتقد أنها فقدت مثل النص الكامل لكتاب شيشرون الذي عثر عليه في مكتبة ميلانو سنة 1392، ومخطوط آخر له في مكتبة مدينة لودي سنة1421، كما استعيد كتاب التاريخ للمؤلف ثاسيثوس وثوسيديديس مع عدد من المخطوطات لبلوثراك بعنوان الحيواة[3]. وقد وبلغ اهتمامهم بهذه المخطوطات حد القول بأن الفرد لا يمكنه أن ينال مكانة رفيعة في مجتمعه ما لم يكن على إطلاع بهذه الدراسات[4].

كانت القسطنطينية بالذات مركزا مهما لتجارة المخطوطات الإغريقية حيث سافر إليها العديد من الدارسين الإيطاليين المهتمين بدراسة اللغة الإغريقية على يد كبار أساتذتها، وبعد سقوطها على يد محمد الفاتح 1453م هاجر عدد كبير من العلماء البيزنطيين نحو إيطاليا حيث وجدوا عند حكامها رعاية مادية وأدبية عالية[5].

ذهب الإنسانيون في الإعجاب بالتراث القديم إلى حد جعلهم يسعون إلى محاكاته في كل شيء من حيث المضمون وحتى الشكل وأساليب التعبير، وكانت اللاتينية في نظرهم لغة الحضارة والرقي، لغة الآداب الرفيعة فجعلوها مقياسا لثقافة الفرد، ولم يحاول أي من الإنسانيين استخدام اللغة الإيطالية في كتاباته باعتبارها لغة العوام ولا يمكنها احتواء المعاني السامية والأفكار المعقدة[6]، ولكن مع اختراع الطباعة وانتشار العلم وجد هؤلاء الإنسانيون أنفسهم مجبرين على الكتابة بالعامية الإيطالية؛ ذلك أن اللاتينية لغة

---

[1] هشام صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر ورابطة العقلانيين العرب، بيروت، ط1، 2005، ص 75.

[2] L.Angelucci & F.Barbé, Renaissance. Révolution dans les arts en Europe.1400-1530, Italie, 2012, pp 18-19.

[3] أشرف صالح محمد السيد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، دار واثا للنشر الرقمي، قطر، ط1، 2009، ص 18.

[4] C.Cambazard-Amahan & M.Fantoni, Fès et Florense en quete d'absolu, senso unico éditions, Italie, 2008, p240.

[5] شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص14.

[6] نصر الدين سعيدوني، مسائل في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر عصر التحولات من تقاليد العصر الوسيط إلى حيوية العصور الحديثة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص35.

العصور الوسطى أصبحت قسرا على رجال الدين والكنيسة فقط وعزف عنها جمهور العامة لصعوبتها وتعقيد قواعدها. وعليه عمد بعض الأدباء الإنسانيين إلى الكتابة بلسان شعوبهم فألف دانتي الكوميديا اللإهية بالإيطالية، ومونتانييه وغيره من الأدباء الفرنسيين بالفرنسية، في حين كتب شوسر مجموعة قصص كانتربري بالإنجليزية [1].

ساهمت حركة إحياء العلوم القديمة . على اختلاف أنواعها التي كانت مهملة طيلة العصور الوسطى المظلمة الكارهة للفلسفة والثقافة؛ في محاربة الإنسانيين للجهل المسيحي المقدس، لفقد ضاقوا ذرعا برجال الدين ومواعظهم و أفكارهم التقليدية المكررة منذ مئات السنين، حيث فرضت اليقينيات القطعية والتعاليم اللاهوتية عن طريق القوة والإكراه[2]، واقتصر التعليم على تلقين الآداب وعلوم اللاهوت فقط حيث اهتموا بالدين و شرح الإنجيل والتعليق عليه، وهيمنت العلوم الإلهية على العلوم الإنسانية فهي أشرف وأرقى منها وكان كلام رجال الدين معصوما يطاع ولا يناقش أبدا.

من وسط هذا الجو المشحون المقيد انطلق إنسانيو عصر النهضة نحو الماضي اليوناني والروماني البعيد بحثا عن حرية العلم والمعتقد[3]. دون تبني نزعات مضادة للتدين حيث عرف معظمهم بالإيمان ولكنهم في نفس الوقت رفضوا أن تكون الكنيسة بتعاليمها محور حياتهم وهذا ما تجلى في أعمالهم النهضوية التي يمكننا أن نلمس بواذر العلمانية فيها. ومن أهم الأمثلة على ذلك أعمال السياسي والفيلسوف المؤرخ ميكيافيلي.

3. تعريف نيقولا ميكيافيلي:

سياسي إيطالي ولد في فلورنسا 3ماي1469م من أسرة متوسطة الثراء وقد كان أسلافه من نبلاء ثوسكانا الذين بلغوا أعلى المناصب في جمهورية فلورنسا[4]، تعلم اللاتينية وأتقن قواعدها في صغره على يد معلمه مايسترو ماتيو ثم باولو دا رونسيليوني، وكان مولعا بدراسة التاريخ ومنبهرا بأمجاد الشعوب القديمة وخاصة الرومان الذين وجد في كتب تيث ليف بحرا واسعا من المعلومات عنهم، كما اهتم بدراسة القانون والأدب الإغريقي وهذا ما ساهم في نضج شخصيته وتفكيره.[5]

اندمج ميكيافيلي في الحياة العامة وساعدته مؤهلاته على تولي الوظائف في فلورنسا، فدخل مجال السياسة حيث شغل منصب أمين مجلس العشرة المكلف بالعلاقات الإدارية مع المدن التابعة لجمهورية فلورنسا، شغل هذا المنصب مدة 14 عاما ترقى خلالها لينال عضوية أمانة سر الجمهورية[6]، أرسل إلى سفارات لا حصر لها إلى بلاط الملوك والأمراء خارج إيطاليا كفرسنا وروما وتعرف بذلك على أقوى رجال عصره، مما مكنه أن يعمق أفكاره عن الحكم والسياسة التي كانت أهم محاور كتاباته.

بالعودة إلى الحديث عن أوضاع فلورنسا السياسية في هذه الفترة فقد كانت تعيش أزمة كبيرة بسبب التنافس الموجود في المنطقة بين تعاظم قوة فرنسا وأطماعها من جهة والبابوية من جهة أخرى، إضافة إلى حروب فلورنسا الخارجية ضد بيزا والتي استنزفت قوتها فلجأت إلى طلب الحماية من الجيوش الفرنسية، وكان ميكيافيلي يرصد كل هذه الدسائس ويفكر في أسباب ضعف

---

(1) C.Cambazard-Amahan & M.Fantoni, op.cit. p 241.

(2) L.Angelucci & F.Barbé, op.cit, p 22, E.Gebhart, les origines de la renaissance en Italie, librairie Hachette, Paris,1879, pp 227-228.

(3) هاشم صالح، المرجع السابق، ص 73.

(4) روس كينج، ميكيافليلي فيلسوف السلطة، ترجمة فايقة جرجس، كلمات عربية للنشر، القاهرة، ط1، 2008، ص 15.

(5) B.Greengrass Howarth, op.cit.pp 66-67, R.Davis & B.Lindsmith, Renaissance People, Tames and Husdson éditons, USA, 2011, pp 172-173.

(6) ويل وايرل ديورانت، قصة الحضارة _النهضة_ ، ترجمة محمد بدران، دار الجليل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، مج 5، ج4، ص45.

جيوش بلده المتمثلة أساسا في الاعتماد على المرتزقة[1]، الأمر الذي دعاه إلى التفكير في تكوين جيش خالص من أبناء البلد للدفاع عنه، وهذا ما أخذ به حكام فلورنسا حيث تم تشكيل قوة الحرس الأهلي من أبناء النبلاء سنة 1507م تولى ميكيافيلي قيادتها ونجح على رأسها في تحقيق النصر على بيزا وحصل بذلك على ترقية فتولى أمانة لجنة الحرية والسلام المكلفة بشؤون سفراء فلورنسا[2].

ولكن بانقلاب نظام الحكم في فلورنسا وعودة آل مدتشي إلى السلطة 1512م تعرض ميكيافيلي للإعتقال والتعذيب وحكم عليه بالإقامة الجبرية في منزله الريفي ب سان كاسيانو. عاش فيه رفقة عائلته 15سنة لا عمل له إلا القراءة والكتابة وتسجيل ملاحظاته في السياسة والحرب والتاريخ[3].

رغم المدة الطويلة التي أمضاها في المنفى إلا أن الحنين إلى الحياة السياسية مازال يراود ميكيافيلي، فعند هزيمة فرونسوا 1 في بافيا1525م واجتياح الجيوش الإسبانية_الجرمانية المدينة قدم ميكيافيلي تقريرا عن كيفية تحصينها فأعجب به البابا ونال رضا حكومة مدتشي وأصبح أحد أعضاء لجنة الدفاع عن المدينة 1526م، ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا لأن عودة الحزب الجمهوري إلى الحكم في فلورنسا 1527م أنهت مساره السياسي بعد أن عزل مرة أخرى عن منصبه. عندها أيقن أن مكانته في الحياة العامة قد انتهت فانعزل من جديد في منزله الريفي مشتغلا بالمطالعة والتأليف[4].

4. معلم الفكر السياسي عند ميكيافيلي:

ربط ميكيافيلي السياسة بالتاريخ، وجعل تجارب الماضي وخاصة ما تعلق بالتاريخ الروماني مصدرا مهما من أجل فهم واستقراء التجارب بعيدا عن المثالية والقيم الأخلاقية وهذا ما تضمنته أعماله. وللتعرف أكثر على مساهمته في قضايا السياسة والحكم لا بد من تسليط الضوء على أهم مؤلفاته: المطارحات والأمير.

1.4 المطارحات: جاء كدراسة معمقة لمؤلفات كل من تيث ليف، كان الهدف منها تحليل الأحداث والاستفادة من تلك التجارب بتطبيقها على الحكم ومعالجة القضايا السياسية المعاصرة وعليه كان كتابه وسيلة سخرت الماضي لخدمة الحاضر وجعلت التاريخ ميدانا لاكتساب الخبرة في معالجة القضايا الراهنة[5]. اشتمل كتاب المطارحات على مائة واثنين وأربعين قضية موزعة موزعة على ثلاثة أقسام:

- تناول القسم الأول: خصصه للحديث عن الشؤون الداخلية للإمبراطورية الرومانية؛ الدستور، نظم الحكم، الدين الحرية والعبودية.
- القسم الثاني: عالج فيه السياسة التوسعية للإمبراطورية الرومانية.

---

(1) لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1987، ص 74.

(2) كوينتن سكنر، المرجع السابق، ص 252.

(3) نصر الدين سعيدوني، الفكر التاريخي الأوروبي من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر من لورنزو فالا إلى كوندورسيه، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر،ط1، 2022، ص 47.

(4) C.Cambazard-Amahan & M.Fantoni, op.cit, p 251.

(5) نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، 1968، ص 134.

– القسم الثالث: ذكر فيه تفاصيل عن التاريخ الروماني، بطولات الرومان وأساليبهم لحفظ الأمن وإخماد الثورات[1].

2.4 الأمير: يأتي كعرض مختصر للنتائج التي توصل إليها ميكيافيلي من خلال دراسته للكتب العشرة من تاريخ تيث ليف. ألفه في منفاه عام 1513م ، وأهداه إلى لورينزو دي مديشي، وقد تضمن الكتاب أفكاره وتجاربه السياسية مع مجموعة من النصائح لـ الحاكم ، حيث كان يسعى من وراء ذلك أن ينال رضاه عن طريق هذا الكتاب فيستعيد مكانته و وظيفته السابقة ولكنه فشل في ذلك وظل في منفاه[2]، والجدير بالذكر أن كتاب الأمير لم ينشر إلا بعد وفاة ميكيافلي بخمس سنين، فقد اتهم بالهرطقة وكان أول من هاجمه م هو الكاردينال بولس مما أدى لتحريم الإطلاع على كتاب الأمير ونشر أفكاره، وقد وضعت روما كتابه عام 1559م ضمن الكتب الممنوعة وأحرقت كل نسخة منه، ولكن مع انتشار النهضة في أرجاء أوروبا ظهر من يدافع عنه ويترجم كتبه، ولم يصل ميكيافيلي وفكره لما وصل إليه الآن إلا في القرن الثامن عشر[3].

تناول ميكيافيلي في كتابه الأمير خلاصة ملاحظاته حول أنظمة الحكم، سلوك الحكام وأساليب ممارسة السلطة. نظمها في ست وعشرين باب يمكن تصنيفها رغم تداخلها إلى ثلاث أقسام كما يلي:

– القسم الأول: تناول فيه أنواع الحكومات وأساليب المحافظة على بقائها واستمرارها.

– القسم الثاني: تطرق فيه إلى مسألة ضرورة تكوين القوة العسكرية وعوامل قوة وضعف الحكومات.

– القسم الثالث: جمع فيه خصال الأمير و سلوكاته المطلوبة في سبيل ضمان أمن وسلامة مملكته.[4]

كتاب الأمير عبارة عن مناهج في ممارسة السياسة مزج فيه ميكيافيلي بين خبرته الشخصية واطلاعه الواسع على التاريخ القديم في هذا المجال، وقدمها في أسلوب واضح يمكن أمير فلورنسا الجديد من تعلم فن السياسة وإتقانها في وقت قصير[5] و يقول في ذلك: " لم أجد في حوزتي ما أهبه لكم أفضل من معرفتي بمآثر عظماء الرجال، هذه المعرفة التي حصلتها عبر تجربة طويلة في الشؤون الحديثة، وقراءة متمعنة في تجارب الأزمنة القديمة، وبعد دراستها وتفحصها بدقة متفانية ها أنا أضعها بين أيديكم مختصرة مضمونة في سفر صغير..." [6]

يتضمن كتاب الأمير حلول عملية من شأنها إخراج إيطاليا من حالة التوتر و عدم الاستقرار التي تعيشها ،حيث كتب ميكيافيلي هذا الكتاب مدفوعا بحبه للقومية الإيطالية، وبرغبته الجامحة في توحيد وطنه المجزأ، كان شعوره القومي وإحساسه بعظمة الروح الإيطالية وإمكانية استنهاضها وبعثها طاغيا على أي فكرة أخرى، ولعل هذه العاطفة كانت وراء اعتبار السلطة المطلقة التي لا ترحم مثله الأعلى.

وعليه يمكننا القول أن كتاب الأمير جاء كمعالجة واقعية لنظام الحكم من خلال تقديم النصح على ضوء تجارب سابقة من أجل التوصل إلى حاكم قوي يمتلك الوسائل الكفيلة لتحقيق أهدافه بغض النظر عن الأخلاقيات المتعارف عليها[7]. وهذا ما

---

[1] نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص110.

[2] R.Davis & B.Lindsmith, op.cit. p173, A.Michel, dictionnaire de la renaissance, France, 1998, p196.

[3] شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص34.

[4] نصر الدين سعيدون، المرجع نفسه، ص 112

[5] جيري بروثون، عصر النهضة، ترجمة إبراهيم البيلي محروس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2013، ص54.

[6] نيقولا ميكيافيلي، الأمير، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004،ص84 .

[7] ويل وايريل ديورانت، المرجع السابق، مج5، ج4، ص 49.

أوضحه ميكيافيلي في وصفه لكتابه:" إنني ألفت كتابا في الإمارة... بحثت فيه طبيعة الإمارة وعدد أنواعها وطريق الوصول إليها والاحتفاظ بها وسبب ضياعها"[1].

هدف السياسة عند ميكيافيلي هو المحافظة على الدولة وتوسيع مجال نفوذها دون التقيد بالوازع الديني ولا الأخلاقي فكانت الغاية عنده تبرر الوسيلة، لذلك نجده يمجد الحكام الذين وسعوا سلطانهم دون مراعاة غيرهم، فهو لم يراع أخلاقية الوسيلة المتبعة لتحقيق الغاية بل ركز على مدى ملائمة هذه الوسيلة لتحقيق الغاية[2].

وبذلك يكون ميكيافيلي أول مفكر يصر على إنشاء سلطة مركزية علمانية من خلال فصلها عن التزاماتها الأخلاقية والدينية، بل فضل الوصول إليها _السلطة_ والمحافظة عليها بالقوة بغض النظر عن وسيلة تحقيق ذلك، فكانت القوة في تفكيره غاية في حد ذاتها ولا تحتاج لأي تبريرات، لذلك جاءت كل النصائح الواردة في الأمير سواء ما تعلق منها بالسياسة الداخلية أو الخارجية قائمة على الفصل بين السياسة والأخلاق، وأكد فيه بأن إتباع هذه النصائح هو السبيل الوحيد للوصول إلى السلطة وتوطيد أركانها على المدى البعيد.

5. ميكيافيلي المؤرخ:

1.5 كتاب تاريخ فلورنسا:

كان اهتمام ميكيافيلي بكتب التاريخ دافعا لخوض تجربة الكتابة التاريخية شجعه في ذلك تكليفه من قبل البابا ليو العاشر سنة1520م؛ الذي طلب منه تأليف كتاب مفصل عن تاريخ مدينة فلورنسا، وقد انتهى من إنجازه سنة 1525م وقدمه للبابا كليمونث السابع، تولى فيما بعد أنطونيو بلاد طباعته لأول مرة سنة 1532م ليكون تحت تصرف جمهور الفلورنسيين، ويعتبر كتاب تاريخ فلورنسا أطول مؤلفاته حيث يضم ثمانية أجزاء تتحدث عن تاريخ المدينة منذ نشأتها إلى غاية وفاة لورنزو العظيم.

كان ميكيافيلي فيلسوفا سياسيا يبتعد أشد ما يمكنه عن الذاتية والعاطفة في الكتابة التاريخية الأمر الذي أعطى كتابه تاريخ فلورنسا خصائص مميزة، فإذا نظرنا إلى هذا المؤلف من الناحية الأدبية والبلاغية سنجده لا يرقى لمستوى باقي المؤلفات في عصره ولكنه في نفس الوقت يضاهي غيره من حيث الدقة في عرضه لتطور الأحداث وإدراك العوامل السياسية المتحكمة فيها[3]، وتتجلى وتتجلى عبقريته في قدرته على تحليل الأحداث واستخلاص النتائج أكثر من التركيز على السرد القصصي بأساليب أدبية معقدة، كما نبذ أسلوب الحوليات واعتمد على عدد قليل من المصادر على درجة كبيرة من الأهمية مثل مؤلفات: جيوفاني فيلاني وتيث ليف. كما أرفق كل جزء من كتابه بعد خوض عميق في الأحداث بتعليقاته وانطباعاته الشخصية عن الحكومة، الأحزاب والقادة.... ولهذا يعتبر كتابه تاريخ فلورنسا أهم مصادر التاريخ الفلرونسي[4].

2.5 مميزات الأسلوب التاريخي عند ميكيافيلي:

تميز ميكيافيلي بنفاذ البصيرة والتعمق في تحليل العوامل التي تحرك الأحداث، حيث تنوعت النظريات السياسية والدينية عنده حول الحرية والسلطة ورأى أن العودة إلى التاريخ هي خير وسيلة للبحث العلمي، وأن دراسة الماضي هي الركيزة التي تدعم

---

(1) نيوقلا ميكيافيلي، المصدر نفسه، ص 85-86.

(2) R.Davis & B.Lindsmith, op.cit, p175.

(3) هاري المر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمان برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص 155.

(4) زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956، ص78.

الباحث حتى يحقق هدفه المنشود، فكان بذلك من دعاة القول أن التاريخ هو الأرضية الحقيقة لدراسة النظريات السياسية، كما يعتبر من المؤرخين القلائل الذين أدركوا العلاقة بين التاريخ والسياسة[1].

اتبع ميكيافيلي في كتابة التاريخ أسلوب جديد مختلف تماما عمن سبقوه فكان منهجه اختياري قائم على ملاحظة الواقع، واستفاد في ذلك من إلمامه بعلوم الفلسفة والمنطق حيث سخرهما لدراسة السلوك البشري، وحاول الربط بين الأسباب والنتائج وأسقطها على التجارب الماضية المستخلصة من كتب التاريخ التي عكف على دراستها[2]. ويمكن حصر مميزات الكتابة التاريخية عند ميكيافيلي في النقاط التالية:

-التاريخ مصدره الأول لتتبع الأحداث والوقوف على نتائجها ومدى احتمالية تكراراها وفي ذلك محاولة لاستشراف المستقبل.

-وضع ميكيافيلي قواعد عامة انطلاقا من تعميم النتائج التي توصل إليها في حال تكرار الأحداث.

-البحث عن طريقة للتدخل المسبق وحل الأزمات بعد معرفة أسبابها ومحاولة تحديد السلوك الواجب إتباعه.

-التزم ميكيافيلي في دراسته للتاريخ بنظرته الواقعية لصيرورة الأحداث فحرص على تحليلها بعيدا عن المثالية.

- اعتمد أسلوبه أساسا على العناية بالحقيقة أكثر من البلاغة، فتجنب كثرة التفاصيل و اقتصرت الرواية التاريخية لديه على سرد و تحليل علماني مباشر للأحداث.

- ارتكز ميكيافيلي في فكره السياسي ونظرته التاريخية على نظرة استقرائية تجريبية مقارنة لقضايا وأحداث التاريخ من أجل شرح القواعد التي تقوم عليها الدول وتسن على أساسها الدساتير.

- عمل على نقل التاريخ من غرضه التربوي والأخلاقي كاكتساب الحكمة إلى الدراسة التحليلية من أجل تحقيق غايات نفعية.

يبدو جليا مما سبق ولع ميكيافيلي بالتاريخ، وكثرة استخدامه للأحداث الماضية من أجل إثبات صحة آراءه، وبذلك يعتبر ميكيافيلي أحد مؤسسي طريقة التحليل التاريخي الحديث، كما تتأكد مكانته كمؤرخ محلل للقضايا التاريخية ومعلق على أحداثها من خلال تحليل التجارب الماضية من جهة والتركيز على قضايا مجتمعه ومتطلبات عصره من جهة أخرى فجعلها مرجعا لتفكيره، وحقق بذلك مساهمة نوعية نقلت التاريخ من الماضي البعيد عن اهتمامات المجتمع إلى الواقع المتصل بحياة الناس وهذا ما أكسب تجربة ميكيافيلي التاريخية قيمة إنسانية خالدة، وجعلت منه شخصية نالت إعجاب المفكرين الأوروبيين تحظى بمكانة مهمة في تطور الفكر التاريخي[3].

6. أثر الحركة الإنسانية على الفكر السياسي والكتابة التاريخية:

كان الاهتمام بالتاريخ في عصر النهضة مظهرًا من مظاهر الاهتمام بالإنسان ماضيه و حاضره، فجاء تأثير الحركة الإنسانية على الكتابة التاريخية متماشيا تماما مع المظاهر الرئيسية لتلك الحركة بوجه عام .فهذه الحركة بالنسبة للتاريخ تعني البحث عن النصوص القديمة ثم مقارنة ونقد وتصحيح ما تم الوقوف عليه منها، فكان التاريخ لدى مؤرخي هذه الفترة، عن حق، هو تاريخ

---

(1) محمود محمد الحويري، منهج البحث التاريخي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ص95.

(2) E.Gebhart, les origines de la renaissance en Italie, librairie Hachette, Paris,1879, p241.

(3) C.Cambazard-Amahan & M.Fantoni, op.cit, p251.

العلم والاكتشافات الذي يُظهر تقدّم العقل البشري[1]. ومن هذا المنطلق، حاولت الدراسات التاريخية صوغ التاريخ استنادا إلى مفهوم واسع يربط الحوادث بالتطورات الحضارية في المجالات المختلفة للحياة الاجتماعية والاقتصادية، ومن جهة أخرى فقد غيرت الحركة الإنسانية نظرة الإنسان القديمة إلى التاريخ حيث جعلت منه منطلقا نحو التقدم والارتقاء في جميع مظاهر الحياة الإنسانية، والاحتكام إلى العقل في تحليل أحداث الحاضر الذي يعيشه[2].

كما كان للحركة الإنسانية أثر هائل في تضاؤل عنصر المعجزات والكرامات في عملية تفسير أحداث التاريخ وتعبيرًا صارخا على الرغبة في التحرر من أطروحات الكنيسة واستبداد رجال الدين، وعليه قدر للتاريخ القديم (الوثني) أن يستعيد إلى حد بعيد مكانته التي فقدها على أيدي الكتاب المسيحيين الذين حرفوا جزءا كبيرا من معالمه، ويرجع الفضل في ذلك إل المؤرخين ذوي النزعة الإنسانية الذين أعجبوا بالثقافة الكلاسيكية ودأبوا على إحياءها، فكان للنماذج القديمة من كتب التاريخ أثر كبير في تحسين الأسلوب وتحرير الكتابة التاريخية، وهذا يعني العودة بالتاريخ إلى الاتجاه العلماني الأمر الذي زاد من قوته وأضفى عليه نزعة استقلالية ظهرت آثارها على المدن الإيطالية التي تحولت إلى جمهوريات معتزة بكياناتها وبالتالي ظهور القوميات الحديثة[3].

ومع ذلك لا ينبغي أن نتصور أن الغالبية العظمى من الإنسانيين كانوا خارجين عن الدين أو المتشككين في الديانة المسيحية ، وإنما الغالب أنهم تجاهلوا مزاعم اللاهوت والجدل الديني. وهناك حقيقة هامة هي أنه لأول مرة منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب الأوروبي سنة 476 م، صار معظم المؤرخين البارزين من العلمانيين وعامة الناس بعد أن كانوا من رجال الكنيسة واللاهوت[4] .

انطلاقا مما سبق نجد بأن مؤرخي عصر النهضة من الإنسانيين اخذوا على عاتقهم دراسة التاريخ بصورة جديدة، تعتمد على البحث عن النصوص القديمة وتمحيصها على اختلاف أنواعها، وعلى نمو روح النقد وطلب المعرفة والبحث الحر وتحكيم العقل والمنطق الصحيح في المادة التاريخية[5]، ونادوا بأن التاريخ هو نتيجة للعمل الإنساني وأن مجاله هو السياسة والحرب. لكن من جهة أخرى ظهرت في كتابات الإنسانيين نزعة وطنية، لاسيما بالنسبة إلى المدن والبلاد التي كان ينتسب إليها كل واحد منهم، مما أدى إلى زيادة الاهتمام بإحصاء الحقائق والبحث في أوراق السجلات، وقد اعتمدت بعض الأسر الحاكمة في أوروبا على بعض المؤرخين لغرض القيام بوظيفة تدوين التاريخ والعمل على تأليف الكتب التي تخدم أغراضهم السياسية أوال دينية، وتشيد بعظمائها وتوضح نظمها الدستورية والقضائية[6].

---

(1) محمود الحويري، المرجع السابق، ص 91.

(2) W.Ferguson, la renaissance dans la la pensée historique, traduit par J.Marty, Rivages and Payot éditions, 2008, pp 12-13.

(3) هاري المر بارنز، المرجع السابق، ص 146.

(4) أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص13.

(5) زينب عصمت راشد، المرجع السابق، ص79.

(6) محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 92.

7. خاتمة:

في ختام هذا البحث يمكننا حصر النتائج التي توصلنا إليها في النقاط التالية:

– ساهمت الحركة الإنسانية التي شهدتها أوروبا في تخليص العلم والعقل البشري من هيمنة الكنيسة ورجال الدين بفضل التركيز على أهمية الفرد وقدرته على الإبداع وإعطاءه الحرية، ما أفسح المجال للعديد من الشخصيات للبروز واللمعان في سماء النهضة على غرار ميكيافيلي.

– يعد مكيافيلي مؤسس الفكر السياسي الحديث، حيث كان له بفضل أعماله تأثير كبير على الحضارة الغربية الحديثة ويذهب الكثير من المفكرين السياسيين بالقول أن ميكيافيلي هو مؤسس مدرسة التحليل والتنظير السياسي الواقعي.

– أكتسب مكيافيلي شهرة كبيرة ضمن أهم المفكرين السياسيين الذين عرفتهم العصور الحديثة وهذا بفضل انتهاجه خطا مختلفا عما كان رائجا في الكتابات السياسية في العصور الوسطى وما قبلها، فكان أول مفكر أوروبي يطرح بوضوح موضوع الانفصال بين السياسة،الدين والأخلاق، فقد كان ببساطة ينزع إلى تخليص السياسة من أي اعتبار خارجي، وإلى جعلها علماً مستقلاً بذاته.

– مثل أسلوب مكيافيلي وفكره السياسي الواقعي بداية عهد جديد في تاريخ الفكر السياسي وقطيعة مع الفكر القديم التقليدي الذي سيطرت عليه النماذج المثالية للمدن والحكام.

– اكتسبت الكتابة التاريخية في إيطاليا وأوروبا عامة بفضل الحركة الإنسانية طابع العقلانية في التأريخ للأحداث متأثرة في ذلك بالدراسات الكلاسيكية التي بعثت من جديد بفضل العناية الفائقة من طرف الحكام والأمراء في إيطاليا.

– تحررت الكتابة التاريخية من التفسيرات الخاضعة للخرافة والمعجزات بل جعلت نقد الوثائق وتمحيص المخطوطات أساسا لها فأدى ذلك إلى ظهور مدارس النقد التاريخي مثل مدرسة فلورنسا.

– وقد ساهم ميكيافيلي في تطوير الدراسات التاريخية في عصر النهضة بمحاولة قراءة التاريخ قراءة نقدية متفتحة على الواقع قائمة على تحليل الأحداث و استخلاص التجارب منها فيما يتصل بالسايسة، لأنه أدرك العلاقة الوطيدة بين التاريخ والسياسة وهذا ما يظهر جليا في أعماله على غرار الأمير الذي كان بمثابة حلول عملية للأزمة التي تمر بها إيطاليا والتي وضعها على ضوء تجارب الماضي التي استخلصها من كتب قدماء المؤرخين.

قائمة المراجع:

المؤلفات:

قائمة المراجع:

1-بروثون جيري، عصر النهضة، ترجمة إبراهيم البيلي محروس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2013، ص54.

2- الجمل شوقي عطا الله ، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000.

3- حاطوم نور الدين ، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، 1968، ص 134.

4- الحويري محمود محمد ، منهج البحث التاريخي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.

5- ديورانت ويل وايرل ، قصة الحضارة _النهضة_ ، ترجمة محمد بدران، دار الجليل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت.

6- راشد زينب عصمت ، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956.

7- سعيدوني نصر الدين ، الفكر التاريخي الأوروبي من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر من لورنزو فالا إلى كوندورسيه، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر،ط1، 2022.

8- -- مسائل في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر عصر التحولات من تقاليد العصر الوسيط إلى حيوية العصور الحديثة، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.

9- السيد أشرف صالح محمد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، دار واثا للنشر الرقمي، قطر، ط1، 2009.

10-صالح هشام ، مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة للطباعة والنشر ورابطة العقلانيين العرب، بيروت، ط1، 2005.

11- عوض لويس، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1987.

12-كينج روس، ميكيافليلي فيلسوف السلطة، ترجمة فايقة جرجس، كلمات عربية للنشر، القاهرة، ط1، 2008.

13-كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث، عصر النهضة، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012.

14- المر بارنز هاري، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمان برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.

15- نيقولا ميكيافيلي، الأمير، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.

16-A.Michel (1998), dictionnaire de la renaissance, France.

17-B.Greengrass Howarth (1993), Atlas de la renaissance, éditions du Fanal, Espagne,

18-C.Cambazard-Amahan & M.Fantoni, Fès et Florense en quete d'absolu, senso unico éditions, Italie.

19-E.Gebhart (1879), les origines de la renaissance en Italie, librairie Hachette, Paris.

20-L.Angelucci & F.Barbé (2011), Renaissance. Révolution dans les arts en Europe.1400-1530, Italie.

21-R.Davis & B.Lindsmith, Renaissance People, Tames and Husdson éditons, USA.

22-W.Ferguson (2008), la renaissance dans la la pensée historique, traduit par J.Marty, Rivages and Payot éditions.